بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة صلاة الجمعة لفضيلة الشيخ مُحَمَّد القباني

فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله الذي هدانا لهذا الدين القويم، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وما توفيقي إلا بالله، وما توكلي ولا اعتمادي إلا على الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، خير نبي اجتباه وهُدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودِين الحق لِيُظهره على الدين كله، ولو كره الكافرون، صلى الله وسلم وبارك عليك يا سيدي يا رسول الله، وعلى آلك وأصحابك الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، آمين.

أما بعد أمة الحبيب المصطفى ﷺ، أُوصيكم ونَفسي المذنبة بتقوى الله عز وجل، وأحثكم وإياي على طاعته، وأنهى نفسي وأنهاكم عن معصيته، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

أيها الأحبة الكرام: بَدأنا في الجمعة الماضية بالحديث عن أسباب الفرج، أَسأل الله سبحانه وتعالى أن يُعَجِّلَ الفرج على هذا البلد المبارك وعلى سائر بلاد المسلمين، بَدأنا الحديث عن الرضا عن الله سبحانه وتعالى، الرضا بما كتبه الله على الإنسان، قلنا أن هذا هو السبب الأول من الأسباب التي نَستعطف الله سبحانه وتعالى بها، عسى أن ينظر إلينا بالفرج سبحانه وتعالى، من المفترض أننا قد طبقنا إن شاء الله سبحانه، من المفترض أن خلال هذا الأسبوع جميع ما أَلَمَّ بنا: يا رب قد رضينا، يا رب لك الحمد، ويا رب لك الشكر، هذه الخطوة الأولى في هذا الطريق، قبل أن انتقل إلى الخطوة الثانية وإلى الموضوع الثاني، سَمِعت قصة منذ يومين في هذا الصدد،

في موضوع الرضا عن الله تعالى، وأنه سبب للفرج من الله، هذه القصة حصلت مع طبيب في أيامنا هذه، وهو حي يرزق، وهو من كبار أطباء هذا البلد، وزوجته أيضاً من العائلات المحترمة من أغنياء البلد، لكن الله سبحانه وتعالى امتحنهم بامتحان، أولادهم يولدون عندهم مشكلة في القلب في العقل، عندهم مشكلة وتحتاج لتكاليف باهظة، وإلى مدارس خاصة، وإلى علاجات خاصة وإلى أدويةٍ خاصة، المال موجود، كل شيء مُهَيَّأ، والأب طبيب، وكل الأسباب اتخذت حتى لا يأتي الأولاد عندهم مشكلة، ولكن مشيئة الله فوق كل شيء، في يوم خَطَرَ في بال هذه المرأة خاطر، قالت: يا رب لك الحمد، هذه التكاليف الباهظة لو كان هذا الامتحان لإنسان فقير، كيف يمكن له أن يدفع؟ وكيف يمكن له أن يعالج أبناءه، يا رب لك الحمد، يا رب قد رضيت، يا رب لك الحمد أن هذا الامتحان جاء لي ولم يأت لإنسان فقير، أنا بإمكاني أن أنفق على أولادي وأن أعالجهم وأن أقوم بالرعاية التي يستحقونها، بعد هذا الرضا جاءهم أولاد سليمون بإذن الله تعالى، ما من مشكلة عند الأولاد بعد أن رَضيت هذه الزوجة بما قسمه الله لها، هذا حَال الرضا عن الله سبحانه وتعالى، نَسأل الله أن يَرزقنا الرضا، أحببت أن أخبركم هذه القصة وقد سمعتها من يومين، لشحن همتنا حتى نرضى بما قسمه الله لنا.

الخطوة الثانية في هذا الطريق –طريق نيل الفرج من الله سبحانه وتعالى– قول الله سبحانه وتعالى حكاية عن سيدنا نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا * مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٠–١٤] اللهم إنا نستغفرك ونتوب إليك، إذا حبس خير السماء ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ إذا مُنع الخير، إذا ضاق حالك، إذا عشت بفقر، ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ﴾ مَن كان عقيماً لم يرزقه الله تعالى بأولاد ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ كل شدة، كل ضيق، كل كرب، ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا

رَبَّكُمْ﴾ النبي ﷺ يقول: ((من لزم الاستغفار جعل الله من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً ورزقه الله من حيث لا يحتسب)) سيدنا نوح عليه السلام يأمر قومه: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠] سيدنا هود عليه السلام ماذا قال لقومه: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢] إن كان حالنا حال ضعف ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾ [هود: ٣] هو أن يعيش بسعادة ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ ، من أراد أن تكفَّ عنه السيئة ﴿يا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُون﴾ [النمل: ٤٦] من أراد رحمة الله سبحانه وتعالى ﴿فَقُلتُ استَغفِرُوا رَبَّكُم﴾.

حال الأنبياء، سيدنا موسى ماذا قال؟ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم﴾ [القصص: ١٦] وقال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١] لو جئنا إلى سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم ماذا قال؟ ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِين﴾ بالطعام والشراب ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِين﴾ لكل مرض، لكل داء ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِين﴾ ماذا ختم هذا؟ ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّين﴾ [الشعراء: ٧٩-٨٢] ختمها بالاستغفار، الاستغفار شأن الأنبياء، فما بالنا نحن؟ فمن أنت؟ من نحن أمام أنبياء الله؟ أمام خيرة الله من خلقه وقد لزموا الاستغفار؟ كُيف ونبينا عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم يقول في الحديث الذي رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((والله إني لأستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة)) وفي الحديث الآخر عن الأعز المزني وكان له صحبة مع رسول الله، أن رسول الله ﷺ قال: ((إنه لَيُغان على قلبي –رسول الله إنه ليغان على قلبي، فما بالنا نحن– إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مئة مرة)) صلى الله على سيدنا رسول الله، هذا حال نبينا، وقد غفر الله من ذنبه وما تأخر، هذا حال المعصوم، فما

بالنا نحن المذنبون المقصرون، مَن أغرقتنا الذنوب من رأسنا حتى أقدامنا، ما بالنا نحن ورسول الله يَستغفر الله في اليوم أكثر من مئة مرة، ما بالنا والسيدة عائشة تقول له: يا رسول الله، لم تُجهد نفسك وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، يقول: ((يا عائشة، أفلا أكون عبداً شكوراً)) كيف ورسول الله ﷺ يقول: ((ما نزل بلاء إلا بذنب)) ذنوبنا سبب البلاء الذي نحن فيه، ما نزل بلاء إلا بذنب، هذا الداء، ما دواؤه يا رسول الله؟ ((ولا يُرفع إلا بتوبة)).

وأول درجات التوبة الاستغفار، أول شروط التوبة أن تستغفر الله تعالى، ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ قال قتادة: القرآن كتاب الله، يدلكم على دائكم ودواؤكم، الداء يدلنا عليه القرآن، ودواؤنا نجده أيضاً في القرآن، يقول قتادة: أما داؤكم الذنوب ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨] ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦] الداء هو الذنوب، وأما دواؤكم فالاستغفار، اللهم إنا نستغفرك ونتوب إليك، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ يا رسول الله ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣] ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ مَا دُمت بين أظهرهم فصحابتك بعيدون عن عذاب الله، لأنك فيهم، لأنك تعيش بين أظهرهم، فإذا انتقلت إلى جوار ربك ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ لذلك النبي ﷺ يقول: ((أنزل الله علي أمانين لأمتي)) ثم تلا قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ ثم قال: فإذا انتقلت إلى ربي ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣] الاستغفار، لذلك النبي صلى الله عليه وسلم حث أصحابه على كثرة الاستغفار، إذا أذنب الواحد منهم ذنباً أمره رسول الله ﷺ بالاستغفار، ((يا عائشة، إذا كنت ألممت بذنب فاستغفري الله))

فإن التوبة من الذنب التوبة الندم والاستغفار، فإن التوبة من الذنب الندم والاستغفار، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا

لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠] جاء رجل للنبي ﷺ -ومنذ أسابيع قد تحدثنا عن حديث، تكرار الذنب- يقول له: يا رسول الله، إذا ارتكب العبد ذنباً؟ قال: يُكتب، قال: وإن استغفر وتاب؟ قال: يُغفر له ويُتاب عليه، قال: فإن عاد؟ قال: يُكتب، قال: فإن استغفر وتاب؟ قال: يُغفر له ويُتاب عليه، قال: فإن عاد؟ قال: يُكتب، قال: فإن استغفر وتاب؟ قال: ((يُغفر له ويتوب عليه، وإن الله لا يمل حتى تملوا)).

الاستغفار، إذا ألم العبد بذنب الاستغفار، بعد الطاعة ماذا تقول عندما تنتهي من صلاتك؟ أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، بعد كل صلاة، عن ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته قال: أستغفر الله ثلاثاً، اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام، بعد الفراغ من الحج قال ربنا: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩] بعد كل طاعة، بعد النصر، بعد الفتح الذي فتحه ربنا على النبي ﷺ، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [سورة النصر] بعد الخطبة استغفار، بعد الصلاة استغفار، بعد الطاعات استغفار، إذا دخل الإنسان المسجد استغفار، اللهم صل على سيدنا مُحَمَّد وعلى آل سيدنا مُحَمَّد، اللهم اغفر لي وافتح لي أبواب رحمتك، إذا خرج بعد الطاعة من المسجد، اللهم اغفر لي وافتح لي أبواب فضلك، استغفار في جميع الأحوال، بعد الذنب، وبعد الطاعة، وفي الأوراد اليومية، في كل حال من الأحوال، ((إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة)) وقال ﷺ: ((طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً يوم القيامة)) طوبى لمن آتاه الله كتابه يوم الحساب، فنظر إلى كتابه فوجد في كتابه استغفارًا كثيراً، النبي

ﷺ أمر أصحابه بالاستغفار، أمرنا بالاستغفار، ((مَن قال حين يأوي إلى فراشه: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنبه وإن كان مثل زبد البحر، أو عدد رمل عالج، أو عدد ورق الشجر، أو عدد أيام الدنيا)) وعن شداد بن أوس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)) هذا سيد الاستغفار، كما قال ﷺ علمها لأصحابه، ثم قال عليه الصلاة والسلام: ((مَن قالها مِن النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يُمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يُصبح فهو من أهل الجنة)) سبب لدخول الجنة، كلمات من رسول الله تقولها بعد الفجر وعند المغرب، تدخل بها الجنة إن شاء الله: ((اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)) هكذا أمر النبي ﷺ أصحابه الكرام، يأتيه سيدنا حذيفة رضي الله عنه يقول له: يا رسول الله، كنت ذرب اللسان على أهلي، لا يمسك لسانه كثيراً رضي الله عنه، يقول: أتيت رسول الله فقلت له: يا رسول، لقد خشيت أن يُدخلني لساني النار، فقال ﷺ: ((فأين أنت من الاستغفار، والله إني لأستغفر الله في اليوم مئة مرة)) أخرجه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين، يَقول سيدنا علي رضي الله عنه وكرم وجهه: كُنت رجلاً، وهو رجل، ما معنى الرجولة؟ ما مقياس الرجولة عند سيدنا علي؟ يَقول: كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً نفعني الله عز وجل بما شاء أن ينفعني به، وإذا حدثني أحد أصحابه استحلفته، فإن حلف صدقته، وحدثني أبو بكر -وصدق أبو بكر رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ما من عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلي ركعتين، ثم يستغفر الله إلا

غفر له، ثم تلا قول الله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥] الله كريم، ما أكثر عطاء الله، ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠] الاستغفار، ثم الاستغفار، ثم الاستغفار، هو الأمان بعد وفاة رسول الله ﷺ، هو الأمان لأمة رسول الله بعد انتقاله عليه الصلاة والسلام إلى ربه، ((من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً)) عندك هم؟ الزم الاستغفار، هذا هو وعد رسول الله، ((ومن كل ضيق مخرجاً)) أنت في ضيق؟ مَخرجك الاستغفار، ((ورزقه الله من حيث لا يحتسب)) تطلب الرزق؟ عليك بالاستغفار، الصحابة فهموا هذا المعنى، يقول سيدنا علي كرم الله وجهه: (العجب ممن يهلك ومعه النجاة -يتعجب سيدنا علي- العجب ممن يَهلك ومع النجاة، قيل: وما هي؟ قال: الاستغفار) وكان يقول ﷺ: (ما ألهم الله عبداً الاستغفار وهو يريد أن يعذبه) إذا أراد الله أن لا يعذب عبداً جعل الاستغفار على لسانه، فأين نحن من الاستغفار، وقد ضاق بنا الحال، وضاق بنا البلاء، وضاق بنا الغلاء، إن كنت مريضاً فعليك بالاستغفار، كنت في ضيق فعليك بالاستغفار، إن كنت في شدة فعليك بالاستغفار.

الخطوة الثانية في طريق نيل الفرج بإذن الله، لا بد أن نتغير، لا بد أنت نتحسن، لا بد أن نمضي في طريق مستقيم، حتى يأتينا الفرج من الله تعالى.

اللهم إنا نستغفرك ونتوب إليك، اجعلنا يا ربنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فيا فوز المستغفرين استغفروا الله.

بتصرف